﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٧﴾ [الأنعام: 27]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الـرَّبـطُ بين إعراضِ المشركين في الـدُّنـيـا، ونـدمِـهـم في العذابِ بلا أملٍ في الإيابِ

لمّا ذكرتِ الآياتُ السّابقة حالَ المشركين في الدُّنيا، ولجاجَتَهم في الكفر بإعراضِهم عنِ الآيات البيِّنات، وجحودَهم للنُّبوَّة، ونهيَهم غيرَهم عنِ اتِّباعه ومجافاتهم له عليه الصَّلاة والسَّلام - جاءت هذه الآيةُ تسليةً للنَّبيِّ ﷺ؛ لبيان حالهم يومَ القيامة، وهم موقوفون على النّار، ورأَوا لهيبها وسعيرَها، عند ذلك ندموا على موقفهم، وتمنَّوا العودةَ للدُّنيا؛ للإيمان بالرَّسول واتِّباع القرآن[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وُقِفُواْ﴾: الوقوفُ خلاف الجلوس، وقف بالمكان وقفًا ووقوفًا، والوقوف انتصابٌ مع ثباتٍ في المكانِ - كحال الواقف - قال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ٢٤﴾ [الصّافات: 24]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾، مجازٌ عنِ الحبس، والتَّوبيخ، والسُّؤال[2]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾، "تحتمل ثلاثةَ أوجهٍ: جائزٌ أن يكونوا عاينوها، وجائزٌ أن يكونوا عليها وهي تحتهم، والأجودُ أن يكونَ معنى: ﴿وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾: أُدخلوها، فعرفوا مقدار عذابها"[3]. وذكر هذه الأقوالَ الثَّلاثةَ الزَّجّاجُ، واختار الأخيرَ، وقيل: جُعِلوا عليها وقْفًا، كالوقوف المؤبَّدة على سُبُلِها[4].

2) ﴿نُرَدُّ﴾: الرَّدُّ: صرفُ الشَّيء، يُقالُ: ردَّه عن طريقِه، أي:

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 4/2475.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (وقف).
(3) ابن سيده، المحكم: (وقف).
(4) ابن الجوزي، زاد المسير: 2/20.

صرَفَهُ، ويأتي بمعنى: المنعِ والرَّفْض، وشَيءٌ مَرْدودٌ: أي مَرْفوضٌ، ورَدَّ فلانًا: خَطَّأَهُ، أي: لم يَقبلْه. ومن معانيه أيضًا: الإعادةُ والإرجاعُ، تقول: ردَّه إلى منزلِه، أي: أعاده، وردَّ إليه جوابًا، أي: أرجعهُ وأرسَلَه[1].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

إعـلامُ الـرَّسـول بندمِ المشركين، وتـمـنِّـيـهـم الاسْتِدْراكَ

ولو ترى - أيُّها الرَّسول ﷺ - المشركين حين يُعرَضون يوم القيامة على النّار، فيقولون تحسُّرًا: يا ليتنا نُردُّ إلى الحياة الدُّنيا، ولا نكذِّبُ بآياتِ الله، ونكون منَ المؤمنين بالله، لرأيتَ عجبًا من سوءِ حالهم[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالةُ دخولِ ﴿وَلَوْ﴾ على المضارعِ:

دخول (لو) على الفعل المضارعِ في قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾؛ لاستحضارِ الصّورةِ المستقبَليَّةِ، وهي صورةُ رؤيةِ الكافرين موقوفين على النّار، والمعنى: "أَيْ: حُبسوا على الصِّراط فوق النّار"[3]. وقيل (وقفواْ) أي: دخلوا النّار، وقيل: عُرضوا على النّار[4]. وما في هذه الصورة الأسلوبية من التهكُّم بهم بعد أن كانوا يكفرون بالنبي ﷺ، فَهاهُم يوم القيامة موقوفون على النار.

حذفُ جوابِ ﴿وَلَوْ﴾ الشَّرطيَّة:

شـــدَّةُ نـــدمِ الـكـافـريـن إذا وُقِـفـوا عـلى نـارِ جـهـنَّـمَ، مـوقـفٌ مَهولٌ

وسرُّ حذفِ جواب (لو) الشَّرطيَّة في قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾، للعلمِ به في الجملة، وتقديرُه: لو رأيتَ وقوفَهم في ذلك الذُّلِّ والانكسار، والخِزْيِ والعارِ لرأيتَ عجبًا؛ ولرأيتَ أمرًا شنيعًا، ففي الحذف تفخيمٌ لذلك الأمر، وتهويلٌ وتعظيمٌ لشأنِه؛ لتذهبَ النَّفسُ

(1) الجوهريّ، الصّحاح، وابن منظور، لسان العرب، والزّبيدي، تاج العروس: (ردد).
(2) جماعة من علماء التّفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص: 130.
(3) الواحديّ، الوجيز، ص: 349.
(4) السّمعانّي، تفسير القرآن: 2/97.

فيه كلَّ مذهبٍ[1]. والقاعدةُ: أنَّ حذْفَ جوابِ الشَّرط في مقاماتِ الوعيد، يدلُّ على تعظيم الأمرِ، وشدَّته[2].

دلالةُ حذفِ مفعولِ ﴿تَرَىٰٓ﴾:

الحذفُ للإيجازِ من بلاغةِ السِّياق وأسرارِه

في قوله: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ حُذِف مفعول ﴿تَرَىٰٓ﴾؛ ودلَّ عليه الضَّميرُ في قوله تعالى: ﴿وُقِفُواْ﴾، فكان التَّقدير: (لو تراهم)، وهذا أيضًا من قَبيل الإيجاز الَّذي استدعاه المقام؛ وربَّما كان الغرضُ منه التَّقليلَ من شأن أولئك المكذِّبين، فهم أقلُّ وأَحقرُ من أن تحزنَ بسببهم، فالنّارُ موعدُهم، وينتظرهُم إذ ذاك أمر مَهولٌ عظيم؛ لذا حُذِف ما يدلُّ عليهم منَ الكلمة[3].

دلالةُ التَّعبيرِ بصيغةِ المضارعِ في قوله: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾:

استحضارُ الصُّورةِ من مَلْمَحِ السِّياقِ، مؤثِّرٌ في المخاطَب

جاء التَّعبيرُ عنِ الرُّؤية في الآية بصيغة المضارعِ ﴿تَرَىٰٓ﴾؛ لاستحضارِ الصّورة الَّتي سيصير إليها أولئك المشركون، وكلُّ مَن كفر، وكأنَّها حاضرةٌ أمام أعينِ السّامعين، وهذا الاستحضارُ أوقعُ في نفس السّامع؛ فإن كان موحّدًا محزونًا يَسْلو، وإن كان منَ المكذِّبين المشركين يهتزُّ ويخافُ... وقد يَرْتَدِعُ ويُقْلِعُ عن غيِّه، فيكون سببًا في إسلامه[4].

دلالةُ التَّعبيرِ عنِ المستقبل بالماضي في قوله: ﴿إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾:

إثباتُ حقيقةِ النَّارِ الَّتي أعدَّها اللهُ للكفَّارِ في تلك الدَّار

الفعل ﴿وُقِفُواْ﴾ هو فعلٌ ماضٍ لفظًا، والمعنى به الاستقبالُ، أي: إذ يوقَفون، وجيءَ فيه بصيغة الماضي؛ للتَّنبيه على تحقيق وقوعه، لصدوره عمَّن لاخِلافَ في خبره[5]، وعلى قدر الثِّقةِ في مصدرِ الخبر، تكون قيمةُ الخبرِ. ولا شكَّ أنَّ هذا الوقوفَ المنوَّهَ به في الآية، هو من

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/87.
(2) السّبت، قواعد التّفسير: 1/372.
(3) العبيد، آيات العقيدة في سورة الأنعام، ص: 595.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/184.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/184.

أخبار الغيبِ الَّتي لا يتحكَّم في زمانها ومكانها وورودِها على صفتِها إلّا اللّهُ العليمُ بما كان وما يكونُ، وما لَمْ يَكُنْ، لو كان كيف يكون.

دلالةُ التَّعبيرِ بـ(إذْ) بدلًا من (إذا) في قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾:

عبَّر سبحانه بـ ﴿إِذْ﴾ الَّتي تدلُّ على الماضي، بدلًا من (إذا) الَّتي تدلُّ على المستقبل، مع أنَّ الحديث عمّا سيحصل لهم في الآخرة، فكانَ يناسبهُ (إذا)، لإفادة تحقُّقِ الوقوعِ وتأكُّدِه، وليُتَصوَّرَ المستقبلُ على أنَّه موجود لا على أنَّه سيوجدُ. وقيل: كلمة (إذْ) تُقام مقام (إذا)، إذا أراد المتكلِّم المبالغةَ في التَّكرير والتَّوكيد، وإزالة الشُّبهة؛ لأنَّ الماضي قد وقع واستقرَّ، فالتَّعبيرُ عنِ المستقبل باللَّفظِ الموضوعِ للماضي يفيد المبالغةَ من هذا الاعتبار[1].

كـلُّ شيءٍ قـدَّرهُ اللهُ في أزَلِهِ، فهو واقعٌ ـ لامحالة ـ في أوانهِ بقدرتِهِ

دلالةُ بناء الفعلِ لما لم يُسَمَّ فاعلُهُ في قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾:

بُني ﴿وُقِفُواْ﴾ لما لم يُسَمَّ فاعلُه؛ لأنَّ المقصودَ الأعظمَ هو التَّركيزُ على فعل الإيقاف وحدوثه؛ لتهويلِهِ وتعظيمه[2]، وهو: "شروعٌ في حكايةِ ما سَيصدُر عنهم يومَ القيامةِ، من القولِ المناقضِ لما صدر عنهم في الدُّنيا من القبائحِ المَحْكيَّة مع كونِهِ كَذِبًا في نفسِه، والخطابُ إمّا لرسولِ الله ﷺ، أو لكلِّ أَحَدٍ"[3].

الـوقـوفُ على النَّارِ من أعظمِ المواقف إحراجًا للفجَّارِ

الدَّلالةُ على الاستعارة التَّبعيَّةِ التَّصْريحيَّةِ في قولِهِ: ﴿إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾:

عُبِّر بـ ﴿عَلَى﴾ في الآية؛ لدلالتِها على معنى الظَّرْفيَّة، ويكون المعنى: إذ حُبِسوا في النّار، فيكونون في جوف النّار غائصينَ فيها، وذلك جائزٌ؛ لأنَّ النّار دَرَكاتٌ بعضها فوق بعض، فلا يخلو من معنى الاستعلاء[4]، وعلى هذا التَّوجيهِ يكونُ في الآية استعارةٌ بالحرفِ، فيه شبّهتِ الظَّرفيَّة

الـوُقُـوفُ على الـنَّـار ورُؤيـةُ سعيرِها عـذابٌ قبْلَ العذاب

(1) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 12/528، ورشيد رضا، تفسير المنار: 7/293.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/86.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/122.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 11/318، والرّازيّ، مفاتيح الغيب: 12/508، والنّيسابوريّ، غرائب القرآن: 3/66.

بالاستعلاء؛ بجامع التَّمكُّن، ثمَّ استُعير الاستعلاءُ للظَّرفيَّة على سبيل الاستعارة التَّبعيَّة التَّصريحيَّة، وقد عُبِّر بـ ﴿عَلَىٰ﴾ للإشارة إلى أنَّ مجرَّد الاطِّلاع عليها، والعلم بها للعيان، يلقي للنَّفس بهولها وشدَّتها، فما بالُكَ بالوقوع فيها ! وعلى هذا يكون الاستعلاءُ على حقيقته، أي: هم فوقها على الصِّراط، وهي تحته، قالَ النَّسفيُّ: ﴿إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ أُروها حتَّى يعاينوها، أو حُبسوا على الصِّراط فوق النَّار[1]، "وقيل: معنى ﴿وُقِفُواْ﴾ على النَّار: أُدخلوها، فتكونُ ﴿عَلَىٰ﴾ بمعنى (في) وقيل: هي بمعنى الباء، أي: وُقِفوا بالنَّارِ، أي: بِقُربِها معاينين لها، ومفعول ﴿تَرَىٰٓ﴾ محذوفٌ، وجوابُ (لو) محذوفٌ ليذهب السّامعُ كلَّ مذهب، والتقدير: لو تراهم إذ وُقِفوا على النّار؛ لرأيت منظرًا هائلًا، وحالًا فظيعًا"[2].

فائدةُ العطفِ بالفاءِ في قوله: ﴿فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ﴾:

في العطفِ بالفاءِ دلالة على أنَّ أوَّل شيءٍ يقع حينئذٍ في قلوبهم، ويَسبِقُ التَّعبير عنه إلى ألسنتهم، هو النَّدمُ على ما سلف منهم، وتمنّي الرُّجوعِ إلى الدُّنيا ليؤمنوا[3].

سـوف يـعـاني المنكِرُ الجاني من ضَياعِ الأماني

دلالةُ التَّعبيرِ بحرف النِّداء (يا) في قوله تعالى: ﴿فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ﴾:

حرف النِّداء (يا) هنا لمجرَّد التَّنبيه؛ فهو حرفُ تنبيهٍ لاحرفُ نداءٍ، وقيل: هو حرفُ نداء مُستعمَل في التَّحسُّر؛ لأنَّ النِّداء يقتضي بُعدَ المنادى؛ فاستُعمِل في التَّحسُّر، وتحسُّرهم يدُّل على شدَّةِ ما هم فيه من كَرْبٍ[4]، فتمنّيهم كان بالنِّداء لصيغته، وهي (ليتَ)؛ كأنَّه يقول: يا ليتَ أَقْبِلي، فهذا وقْتُكِ الَّذي نستغيثُ بك فيه، إذ لا نملك إلّا التَّمنِّي؛ فهو أداتُنا الوحيدةُ، وهي أداةُ العاجزين[5].

في مـواجـهـةِ الـنّـارِ المتأجّجةِ لا يبقى للكافرِ إلّا الـصّـرخـاتُ المتشنِّجةُ

(1) ابن عطيّة، المحرّرالوجيز: 349، والنّسفيّ، مدارك التّنزيل: 1/498.
(2) الشّوكانّي، فتح القدير: 2/124.
(3) رشيد رضا، تفسير المنار: 7/293.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/184.
(5) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2475.

دلالة التَّمنِّي في قولهِ تعالى: ﴿يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾:

في صعيدِ العدلِ الرَّبَّاني، لا يُدرَكُ الغفرانُ بالأماني

تمنَّى المشركون، وهم في هذه الحالِ منَ الحسرة أمنيةً قد علموا استحالة تحقُّقِها بدليلِ إتيانهم بـ (ليتَ) الَّتي يُتمنَّى بها، ويكون عادةً في الميؤوس منَ الحصول عليهِ، أو فيما هو بعيدُ المنال، لكنَّهم بعدما عاينوا العذابَ الَّذي ينتظرهم، ومن شدَّة ندمِهم وحسرتهم تمنَّوا ما تمنَّوا من أجل الخلاصِ ممّا هم فيه، ولاتَ حينَ مَناصٍ[1].

دلالةُ التَّعبيرِ بالرَّدِّ دون الرُّجوعِ في قوله: ﴿يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ﴾:

الرَّجعُ: الإعادةُ بدون تقييدٍ، والرَّدُّ الإعادة، مع كراهة له

آثَر القرآنُ الكريمُ التَّعبيرَ بالرَّدِّ دون الرَّجوعِ في الآية، مع وجود تقاربٍ بينهما في الدَّلالة إلّا أنَّ الاستعمال القرآنيَّ يفرِّق بينهما؛ فالرَّجع في اللُّغة ردُّ الشَّيء إلى أوَّل حاله، بخلاف الرَّدِّ فهو صرف الشَّيءِ عن وجْهِه؛ لذلك تضمَّن الرَّجعُ الإعادةَ مطلَقًا بدون تقييد؛ بخلاف الرَّدِّ فتضمَّن الإعادةَ، لكن عن كراهةٍ له لما فيه من معنى الصَّرفِ والتَّغيير، وعلى هذا؛ فالرَّدُّ يختلف عنِ الرَّجعِ بأنَّه إعادةٌ مع الكراهة، ولذلك عندما تقرأُ في آيات القرآن الكريم تجد أنَّ الرَّدَّ يأتي مقترنًا بمكروهٍ، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ﴾ [البقرة: 85]، أو الرَّدَّ إلى الحساب؛ كما في شأن المنافقين في قوله: ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [التّوبة: 105][2].

توجيهُ القراءاتِ في قوله: ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾:

الاحتمالاتُ الإعرابيَّةُ في توجيه القراءاتِ، تتيحُ المجالَ لمعانٍ متنوِّعةٍ

الفعلان ﴿نُكَذِّبَ﴾ و﴿وَنَكُونَ﴾، قُرِئا بالنَّصب فيهما، وبالرَّفع فيهما، وبنصبِ الأوَّل ورفع الثَّاني، وبالعكس[3]؛ فهذه أربعةُ أوجهٍ في الإعراب:

فأمّا نصبُ الفعلين: فهو بإضمار (أن) بعد الواو الَّتي بمعنى

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/186، وتفسير ابن عثيمين - سورة الأنعام، ص: 146.
(2) محمّد ياس خضر الدّوريّ، دقائق الفروق اللّغويّة في البيان القرآنّي، ص: 168.
(3) ابن الجزري، النشر: 2/257.

(مع)؛ مثل: (ليتَ لي مالًا وأنفقُ منه)، و(أن) المضمرة مصدريَّة ينسبكُ منها ومنَ الفعل بعدها مصدرٌ، والواو حرف عطفٍ، فيقدَّر المعطوفُ عليه مصدرًا مُتوهَّمًا، يُعطَف هذا المصدر المنسبِكُ من (أن) وما بعدها عليه، والتَّقدير: (يا ليتنا لنا ردٌّ)، وانتفاءُ تكذيب بآيات ربِّنا، وكون منَ المؤمنين، أي: (ليتنا لنا ردٌّ مع هذين الشَّيئين)؛ فهذه الثَّلاثةُ الأشياء مُتمنّاة بقيد الاجتماعِ، لا أنَّ كلَّ واحد مُتمنًّى وحدَه؛ لأنَّ هذه الواو شرطُ إضمار (أن) بعدها أن تصلح (مع) في مكانها. أو يكون النَّصب على جوابِ التَّمنّي؛ فلا يكون التَّكذيبُ، وكونهم منَ المؤمنين، داخلين في التَّمنّي، والواو بمعنى الفاء حينئذٍ، فالواو مُبدَلةٌ منَ الفاء، والتَّقدير: (يا ليتنا نُردُّ فلا نكذِّبَ ونكونَ)؛ فتكون الواوُ هنا بمنزلة الفاءِ في قوله: ﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الزّمر: 58]، وقيل: غيرُ ذلك.

وأمّا رفعُ الفعلين: فعلى وجهين: الأوَّل: العطفُ على نُردُّ، فيكون عدم التَّكذيب، والكون منَ المؤمنين، داخلَيْن في التَّمنّي كالرَّدِّ، ويكونون قد تمنَّوا ثلاثةَ أشياء: الرَّدَّ إلى دار الدُّنيا، وعدمَ تكذيبهم بآيات ربِّهم، وكونَهم منَ المؤمنين. الثّاني: أن يكونَ الرَّفعُ على القَطْع بتقديرِ مبتدأ، وتكون جملةُ الفعل هي الخبر، والتَّقدير: ونحن لا نُكذِّب، ونحن نكون منَ المؤمنين، وعلى هذا فجملةُ: (نحن لا نُكذِّب)، و(نحن نكون...)؛ إمّا في محلِّ نصبٍ على الحال منَ الضَّمير في نُرَدُّ؛ فيكونان داخلَيْن في التَّمنّي كذلك، وإمّا استئنافًا لا تعلُّق له بما قبله؛ ويكون المعنى: أنَّهم ضَمِنوا ألّا يكذِّبوا بعد الرَّدِّ، وأن يكونوا منَ المؤمنين، وقيل: غير ذلك.

وأمّا نصبُ الأوَّل، ورفع الثّاني، والعكس، فإعراب كلِّ فعلٍ، بحسب ما مرَّ من توجيه الرَّفع والنَّصب، لكلِّ واحدٍ منهما[1].

دلالةُ اختيارِ المشركينَ التَّعبيرَ بالرَّدِّ في هذا السِّياقِ:

اعـترافُ الكـفَّارِ بالتَّقصير في دارِ الدُّنيا

من خلال تعبيرهم في قوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ﴾: تمنَّى الكفّارُ الرَّدَّ إلى حالة التَّكليف في أمنيتهم، وآثَروا في التَّعبيرِ عن هذه الأمنيةِ لفظَ (الرَّدِّ)؛ لأنَّه إذا استُعمل في المستقبلِ من حالٍ

(1) مكّيّ بن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن: 1/249 - 250، والعكبريّ، التّبيان: 1/489، والسّمين، الدّرّ المصون: 4/584 - 590.

إلى حالٍ، فالمعهودُ منه الرَّدُّ إلى الحالةِ الأولى؛ ليسعى في إزالةِ جميعِ وجوهِ التَّقصيرِ، بعد أن عاينوا الشَّدائد والأهوالَ[1].

دلالةُ تنصيصِ المشركينَ على أسبابِ تداركِ التَّقصيرِ في الآيةِ:

يُوقَفُ المشركُون على النَّارِ، بما اقترفوا من جرائرَ وأوزارٍ

عيَّن المشركونَ وسائلَ التَّدارُكِ بأنفسِهم، من باب التَّمنّي؛ لأنَّهم يعلمون أنَّ الرَّدَّ لا يحصل البتَّةَ، ولكنَّها الحسراتُ الَّتي في صدورِهم؛ فذكروا الأسبابَ الَّتي أدَّت بهم إلى هذا الهلاك، فأعلنوا أنَّهم لا يُكذِّبون بآيات ربِّهم، وهم قد كذَّبوا في الدُّنيا بها، وحدَّدوا أن يكونوا منَ المؤمنين، وهم في الدُّنيا منَ المشركين، وبذلك أجابوا عن سؤالٍ يردُ في الخاطر: لماذا أوقِفوا على النّار ؟ فكان الجوابُ: لأنَّهم كذَّبوا بآيات ربِّهم، ولم يؤمنوا باللّه ولا برسوله.

دلالةُ تقديمِ ﴿وَلَا نُكَذِّبَ﴾ على قولِهم: ﴿وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

قدَّموا ما يُناطُ بهم من تركِ التَّكذيبِ، وأخَّروا ما له تعلُّقٌ بالآخر

قدَّموا نفيَهم للكذبِ، وإعْلانَ تَبَرُّئِهم منه، من باب التَّخْليَةِ قبل التَّحْليَةِ، ولبيانِ السَّببِ الَّذي من أجلِه أوقِفوا على النّار، وفي هذا اعترافٌ منهم بما فعلوا في دارِ الدُّنيا من تكذيبٍ، وهم "تمنَّوا الرَّدَّ إلى الدُّنيا الَّتي هي دارُ التَّكليف ليؤمِنوا ويصدِّقوا، والتَّمنّي لا يدخلُه صدقٌ ولا كذبٌ؛ لأنَّه ليس بخبرٍ"[2].

دلالةُ اختيارِ لفظِ الرُّبوبيَّةِ في قوله: ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا﴾:

كُلُّ مَنْ مِنَ اللهِ يُعانُ، تكُونُ حياتُهُ مُسيَّجَةً بالأمان

اختاروا لفظ الرُّبوبيَّة من بابِ طلبِ التَّعطُّفِ والتَّحنُّنِ عليهم، وأنَّى لهم ذلك، وقد فات الأوانُ! وقولهم: ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا﴾، "قالَ سيبَوَيْهِ: هوَ ابْتِداءُ كَلامٍ، يَعْني: لا نُكذِّبَ أبدًا، رُدِدْنا أَوْ لم نُرَدَّ. وقالَ غَيره: هوَ على نسقه، أَيْ: يا ليتنا نردُّ ولا نُكذِّبَ بآيات رَبِّنا، أَي: لا نكفر بعد الرَّدِّ إِلَى الدُّنْيا ﴿وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾"[3]، إذ قد كان

(1) ابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 8/95.
(2) الماورديّ، النّكت والعيون: 2/105.
(3) السّمعانّي: تفسير القرآن: 2/97.

المجالُ مفتوحًا لهم على مصراعيهِ، للتَّوبة والإنابةِ، ولكنَّهم ضلّوا وأَضلّوا بخروجهم عن منهجِ اللهِ الَّذي غمرَهم بِأَنْعُمِهِ، وواساهُم برحمتِه، وما استطاعوا شيئًا إلّا بلُطْفِهِ وحمايتِه.

سرُّ العدولِ عن نفيِ الإشراكِ إلى الإيمانِ:

مَن كان من زمرةِ المؤمنين؛ نالَ الحُسنى وزيادةً يومَ الدِّين

في قوله: ﴿وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ آثَروا التَّعبيرَ في تمنّيهم أن يكونوا منَ المؤمنين؛ ليؤكِّدوا ما ذكروه بنفي التَّكذيبِ، وأيضًا لأنَّ نفيَ الإشراكِ لايلزمُ منه الإيمانُ، فأرادوا تأكيدَ إيمانِهم، يؤكِّد ذلك وجودُ (مِن) الَّتي تشير إلى أنَّهم يَتَمَنَّوْنَ الانضمامَ إلى المؤمنين لِما رأوا منَ النَّعيم المُعدِّ لهم، ويكونون من جنسِهم.

سرُّ التَّعبيرِ بـ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ دون (الّذين آمنوا):

الإيمانُ لايتحقَّقُ على كمالِ صفاتِهِ بالأماني الكاذبةِ، والمطامحِ المجنَّحةِ

آثَروا التَّعبيرَ بتمنّي أن يكونوا منَ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بدلًا منَ (الذين آمنوا)؛ لإفادةِ صفة الرُّسوخ في الإيمان، والتَّأكيد على تحقُّقِه فيهم ظاهرًا وباطنًا، وهذا مجرَّدُ أمنيةٍ في موقفِ الهَوْلِ الأعظمِ، وهو أوبةٌ شكليَّة للصَّواب، كانت بسببِ ما يتوقَّعونه من مصيرٍ، وما سوف يذوقونهُ من عذابٍ أليم، وأمّا حقيقتُهم؛ فقد كانوا في الدُّنيا على خِلاف ذلك، وهم يتمنَّون العودةَ على خلاف ما كانوا عليه. وقال بعضُهم بتأويل رفْعٍ فنصْبٍ للأفعال؛ لأنَّهم تمنَّوا الرَّدَّ وأن يكونوا من المؤمنين، وأخبروا أنَّهم لا يُكذِّبون بآياتِ ربِّهم، إنْ رُدّوا إلى الدُّنيا، بَلْ ظَهَر لَهُمْ ما كانوا يسترون في الدُّنيا من كفرِهم ومعاصيهم"[1].

سرُّ التَّكرارِ في: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ و﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾، وفي أخرى بعدها

(1) الثّعلبيّ، الكشف والبيان: 4/142.

تتكرَّرُ الآياتُ البيِّناتُ بزيادةِ ما يُلمَحُ مِنْ لَفظِهِ تغيُّر المعنى وتناميه

﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ﴾ [الأنعام: 30] أنَّ علَّة إعادةِ الآيةِ مع اختلاف دلالةِ الوقوفِ: هي لأنَّهم أنكروا النّارَ في القيامة، وأنكروا جزاءَ اللّه ونَكالَهُ، فقال في الأولى: ﴿عَلَى ٱلنَّارِ﴾، وفي الثّانية: ﴿وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ﴾، أي: على جزاءِ ربِّهم، ونَكالِهِ في النّارِ[1].

(1) الكرمانّي، البرهان في متشابه القرآن، ص: 107.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العاشر، سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 10 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-62-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 10 : سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-62-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7560922 بتاريخ 2023/12/18م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»